الإمام الخميني قوّة الحق

كمال السيّد

بسم الله الرحمن الرحيم

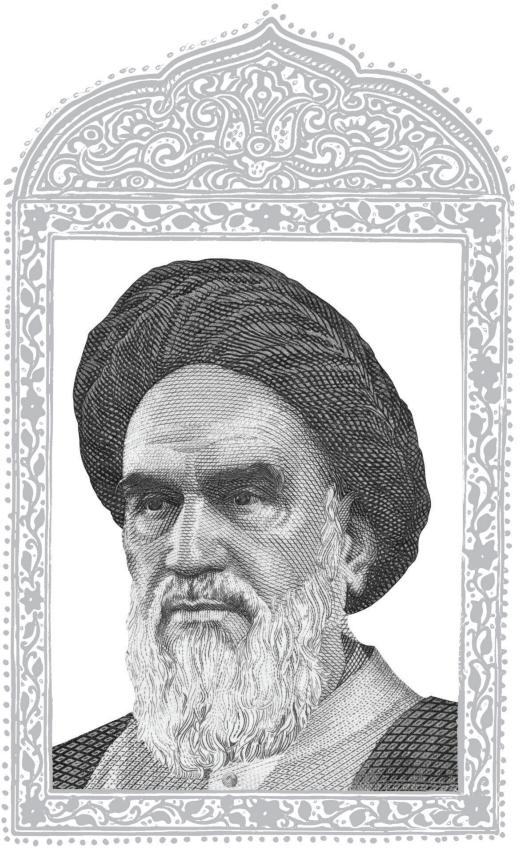

الخميني ظاهرة هزّت كل شيء .. التاريخ والوجدان .. والخميني دخل فجأة ليصوغ العالم من جديد، ويعيد تركيب المفاهيم في كل مجالات الحياة ..

ولهذا كان مدوياً في ظهوره، وكان مدوّياً في غيابه .. فهو الغائب الحاضر، والشاهد الشهيد والإنسان الالهي. .. الإنسان الذي صاغه الإسلام وقدّمه إلى العالم.

ففي زمن يلفّه الضباب .. في زمن يعربد فيه الشيطان .. وفي زمن تولول فيه رياح الزمهرير وهي تجوس المدن الخائفة .. وبدا الإنسان مستسلماً .. إذا بالأرض تهتزّ وتربو

وتنجب «روح الله» .. وإذا بالعالم يرنو إلى وجه مشرق، يحمل شارات الأنبياء .. فجاءنا سيفاً قرآناً صهيلاً مخزوناً من كربلاء .. من يوم عاشوراء ..

وعندما أشرق بدأ عصر الزوابع .. لأن الخميني بدا وكأنه قادم من أعماق التاريخ .. تاريخ الرسالات الإلهية ..

كان بشارة هذا العصر ..

أجل بدأ زمن الزوابع، والغيوم المخزونة بآلاف البروق والرعود .. كأنه الحسين قادم من أرض كربلاء. .. جواداً ينبعث من أعماق رمال الصحراء ..

في صورته أنغام الزبور .. تراتيل التوراة .. بشارة الإنجيل .. وآيات القرآن الكريم ..

فأية روح ينطوي عليها روح الله الخميني؟! وأي قلبٌ يضم صدره؟! وما الذي يحمله من سلاح لكي يهزم نظاماً مدججاً بكل أسلحة الدمار؟ بل كيف تأتّى له أن يهزم الشيطان الأكبر؟ هل كان يحمل عصا موسى؟ أم فأس

ابراهيم؟ أم روح الحسين؟ أجل أية روح هي روحه الكبيرة؟ حتى يرفض قبرك صمت المقابر .. وحتى يدوي صمتك الآن بلغة مدهشة هي أبلغ من كل أبجديات الدنيا.

ألأنك التحقت بالحسين .. والذين التحقوا بالحسين لن يموتوا .. لأنك اكتشفت نبع الخلود؟

ليعذرني القارئ على هذه السطور الملتهبة لأنني لا استطيع أن اتحدث عن الخميني ..

ولأنه لا يمكن سبر المخزون الروحي للإمام الراحل .. لأننا بطبيعة الحال لا نملك الأدوات التي تعيننا في الكشف عن هذا المضمون العميق الغور والذي يرتبط بالسماوات البعيدة.

فالرجل وبلا جدل كان إلهياً .. وكان إنساناً موفقاً في اكتشاف الطريق إلى السماء بحيث تستحيل حركاته وسكناته إلى نظام دقيق يشبه نظام الكواكب والنجوم.

واذا ما أردنا أن نفهم هذا الإنسان يتعيّن علينا أن نكتشف

خطوة الحسين التي هي ذروة الفناء الكامل من أجل الإنسانية .. لقد كانت الخطوة الحسينية آخر الخطى في طريق الحب الإلهي ..

أجل يتعين علينا أن نفهم كلمات الحسين في تلك البقعة من دنيا الله وهو يهتف:

تركت الخلق طُرّاً في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني بالحب إربا لما مال الفؤاد إلى سواكا

ولذا يتعين على المرء إذا ما أراد اكتشاف الإمام الخميني، أن يسبر أغوار النفس الإنسانية ليس في ضوء معطيات علم النفس الحديث فقط .. وإنما توظيف الأطر الإسلامية بل واستخدامها في أية دراسة جادّة يمكن أن تكون لها نتائج تتجاوز بل وتحطم السقف الحضاري الذي وضعته الثقافة المادّية والنمط الغربي في التفكير.

وفى مثل هكذا دراسة يتوجب أن نتوغل في ميدانين هامّين هما «التصوّف» و«العرفان» بالرغم من التداخل

الشديد بينهما .. ثم بسبب التناقض الحادّ في النتائج أعني في المواقف النهائية إزاء مسألة الوجود والحياة ودور الإنسان.

ومع هذا فإن الدراسة يجب ألاّ تغفل مفردات مثل الحب الالهي والتجارب الروحية لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

وفيما يخص الظاهرة الصوفية يمكننا ان نتصوّر هذا المشهد مثلاً:

«واقفاً كان على شاطئ دجلة الأمواج تتدافع بين يديه .. ذاهلاً عن منظر النخيل الباسق وهو ينهض على امتداد جبهة النهر، وقد بدت ذرى المآذن وقباب المساجد من خلال سعف النخيل .. أسماله وشعره المسترسل مع الريح يصرخ بصوفيته .. درويش عابر سبيل ..

ويقترب أحدهم منه ويدور هذا الحوار:

- أتريد أن أوصلك إلى الضفة الأخرى؟

- لا

- أتريد أن تغرق؟

- لا

- ما تريد إذن؟!

تمتم الدرويش بذهول:

- أريد الذي يريد!

وهذا مشهد معبر له دلالات تحكي انسحاق إرادة الإنسان في مساره وتجربته الحياتية.

اننا إذا ما أردنا أن نفهم الظاهرة الصوفية، ونتعرف على البواعث في الجنوح إلى التصوف، فلا يمكننا إلغاء ومصادرة لذائذ الصوفية أو الاستهانة بها .. بالرغم من كل سلبيات الانسحاب من مهمة إعمار الأرض.

كما لا يمكننا أيضاً حذف الأسباب التي قد تدفع بالبعض إلى الجنوح إلى عالم التصوف .. هذا العالم الذي يعج

بالتصوّرات والأوهام وقدر من الحقائق .. وما تفرزه النفس البشرية بكل امتداداتها المترامية وعمقها السحيق ..

وهناك نقطة حياتية في دراسة هذه الظاهرة الروحية والنفسية وهى عدم الاقتصار على تجربة معينة أو مقطع زماني محدد، دون التوسع في الإلمام بالتجارب المتنوعة في هذا العالم الغامض والامتداد مع التاريخ الحضاري للإسلام والتوقف في هذه الصومعة أو الدخول في ذلك «الخانقاه».

على أن دراسة ظاهرة التصوف ستقودنا إلى دراسة ظاهرة أخرى تلك هي ظاهرة العرفان، التي قد نجد كثيراً من أوجه الشبه بينهما مع انفصالهما في محاور جوهرية خاصّة في البعدين الفردي والاجتماعي.

وفي دراسة مثل هذه الظاهرة المعقدة .. يجد المرء نفسه غائصاً في عالم النفس الإنسانية يحاول أن يتعرّف طبيعة مكنوناتها والقوى التي تتجاذب فيها قيادة الإنسان لتسيطر

على مساره وتجربته في الحياة.

فهناك مساحات شاسعة تزخر بالأوهام والخيال الوثاب، وهناك ميدان تموج فيه الغرائز والميول البشرية .. وهناك إلى جانب كل ذلك آفاق ممتدة تتألق فيها الحقائق التي أودعها الله سبحانه لتكون مصابيح تضيء الطريق أمام عباده.

ولعلّ هذا ما ترمز اليه آيات القرآن الكريم وهي تتحدث عن:

«النفس اللوامة».

«النفس الأمارة بالسوء».

«النفس المطمئنة».

ومن هنا فإن أية دراسة في هذا المضمار يمكنها أن تستوفي شروط البحث الموضوعي، ينبغي أن تتحرك في إطار نفسي يتألف من ستة أبعاد لها دورها في رسم الحياة الإنسانية فهناك:

- الفطرة: التي هي مستودع السرّ الالهي في حياة بني آدم بما يجسد بشريتهم وإنسانيتهم.

- العقل: الذى يمثل دائرة التمييز والتأمل بما يمتلكه من مسلّمات المنطقيّة.

ثم تأتي:

- الإرادة: التي تجسّد حرّية الإنسان واستقلاله.

- الضمير الإنساني: الذي يمثل القانون الأخلاقي في أعماق البشر.

كما يأتي:

- القلب: كمركز للعاطفة الإنسانية والجزء النابض الذي يتلقى الاشراق والوعي[1].

---

١. ولعل هذا ما ترمز اليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾. وقول النبي ﷺ في تفسيرها: «ان النور اذا وقع في القلب انفسح له وانشرح» البحار: ١٢٢/٧٣.

وأما البعد السادس والهام فهو:

- مجموع الأهواء النفسية حيث تحتدم الغرائز البشرية الظامئة دوماً والتي تنشد الاشباع[1].

ومن هنا فإن الشخصية الإنسانية إنما هي حصيلة التجارب البشرية الحياتية، وما يسفر عن الصراع المستمر والدائم في الأعماق، ونتائج الحرب الداخلية، ودور المؤثرات البيئية بكل أبعادها السياسية والفكرية والاجتماعية وحتى الجغرافية في حسم الصراع لصالح اتجاه ما داخل النفس الإنسانية.

وعندما نتحدث عن الأهواء النفسية يجب ألاّ تتداعى في أذهاننا الصور السلبية عنها.

ذلك أن الأهواء إنما تمثل جزءً من الطبيعة والطاقة الإنسانية الخاضعة للتوجيه والترشيد سلباً وإيجاباً،

---

١. الهوى في حديث أهل البيت، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ص١٦.

ويمكـن أن نسـوق مـن عالـم الفيزيـاء معادلـة الطاقـة الذرّيـة مثـلاً فهـي تبيّـن مقـدار الطاقـة الكامنـة فـي الكتلـة بعيـداً عـن طريقـة اسـتخدامها فـي مفاعـل نـووي لإنتـاج الكهربـاء أو لصنـع قنبلـة ذرّيـة لا تبقـى ولا تـذر!

فالأهـواء النفسـية البشـرية طاقـات خاضعـة للاسـتخدام السـلبي والإيجابـي انطلاقـاً مـن معادلـة أخلاقيـة معينـة.

ومـن هنـا ينبغـي أن نـدرك أن الأهـواء يجـب أن تبقـى ضمـن إطارهـا كطاقـة محرّكـة ومنعهـا مـن تسـلّم زمـام القيـادة فـي الحيـاة الإنسـانية فـرداً وجماعـة .. لأن ذلك يعنـي هزيمة الإرادة ومركـز القـرار وإقصـاء العقـل أو تحجيـم دوره وإعراضـه عـن القانـون الأخلاقـي، الـذي يمثلـه الضميـر والوجـدان الإنسـاني.

فالأهـواء التـي يسـتنكرها القـرآن الكريـم بشـدّة ويهاجمهـا هـي الأهـواء التـي احتلّـت موقـع القيـادة فـي حيـاة البشـر كمـا نـرى ذلـك واضحـاً فـي قولـه تعالـى:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ

سَمْعِهِ﴾[1].

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾[2].

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى﴾[3].

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[4].

ولعل هذه الأهواء المتسلّلة إلى مركز القيادة والتي اغتصبت دور العقل هي التي يواجهها ردّ الفعل في الجنوح إلى التصوف .. فالتصوف يحارب الأهواء ليقضي عليها لا ليطردها من مركز القيادة فقط، ويتركها تمارس دورها كطاقة محرّكة.

وفي هذه المنطقة نجد التأرجح في فهم «الزهد» .. فهناك

---

١. الجاثية: ٣.

٢. القصص: ٥٠.

٣. النساء: ١٣٥.

٤. المائدة: ٤٩.

ابتعاد عن الحياة وجنوح إلى الانزواء .. وهناك في الطرف المقابل امتلاك للحياة وتحرر من العبودية للمادّة والدنيا، وفي هذه المنطقة ينبغي أن نبحث عن الإمام الخميني.

يقول الإمام الشهيد محمد باقر الصدر: «المسلمون الذين يمارسون إعمار الأرض بوصفها جزءً من السماء يتطلّعون إليها ويسهمون في تنمية الثروة باعتبارهم خلفاء عليها أبعد ما يكونون عن الزهد السلبي الذي يقعد الإنسان عن دوره في الخلافة، وأقرب ما يكونون إلى الزهد الايجابي الذي يجعل منهم سادة للدنيا لا عبيداً، ويحرضّهم ضد التحول إلى طواغيت لاستغلال الآخرين»[1].

أجل يجب أن نفتش عنه في محراب جامع الكوفة .. وننصت إلى مناجاة علي بن أبي طالب فيه أو بين باسقات النخيل في قلب الليل:

«مولاي يا مولاي أنت المولى وأنا العبد، وهل يرحم العبد إلاّ

١. الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر.

المولى؟! مولاي يا مولاي أنت الدائم وأنا الزائل وهل يرحم الزائل إلاّ الدائم؟ مولاي يا مولاي أنت الدليل وأنا المتحير وهل يرحم المتحير إلاّ الدليل؟!».

وهذه كلمات منقوعة بالحب الإلهي لإنسان عاش في قلب الأحداث حمل السلاح وهو في العشرين ورافق الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله حتى النهاية بل وسار على خطاه إلى أن هوى شهيداً في المحراب فيما كان يستعد لخوض حرب مصيرية من أجل تصحيح المسار الحضاري الإسلامي.

أجل يجب أن نبحث عن الإمام الخميني في مسجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في المدينة المنورة وننصت إلى مناجاة زين العابدين:

«يامن أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة، وسمات وجهه لقلوب عارفيه شائقة ..

يا منى قلوب المشتاقين ..

ويا غاية آمال المحبين ..

أسألك حبك، وحبّ من يحبّك، وحب كل عمل يوصلني إلى قربك ..

ينبغي أن نفتش عنه في أرض كربلاء .. لأنه يصرّح قائلاً: «كل ما عندنا هو من عاشوراء».

وإذا ما دققنا النظر جيّداً سنراه يمسك في يمينه قرآناً وفي شماله الولاء لأهل البيت عليهم السلام .. وهما معاً يؤلفان الثقلين، ميراث الرسول صلى الله عليه وآله الخالد.

ولا نغفل أيضاً ونحن نبحث عنه أن نتأمل بين تلافيف العقل الفذ لصدر المتألهين وفلسفته وأسفاره الروحية الكبرى. وقد نستعين ببعض الإشارات التي يرصدها اصدقاؤه أو الشعراء الذين انبهروا بشخصيته بل وحتى الذين يمكن تصنيفهم في خانة الأعداء والخصوم.

الإمام في ضمير الشعر العربي:
يقول الشاعر العربي مشدوها ومتسائلاً:

بربك قل ما السرّ فيك لوثبة هززت بها الأعماق في عالم الجحدِ

وما السر في قلب لديك؟ أخاله يهد بلا حرب ويرمي بلا جند
وقفت كبحر في الأعاصير واسع وفي زحمة التيار كالجبل الصلد[1]

ويقول الشاعر الكويتي خالد مسعود:

كلحظة الأنفاس في خطوه لتستقي من روحه النفحتين
من جدّه حيناً ومن جدّه يا للعطاء الثر منك اليدين
ظنّوا قطاف المجد من بعده وبعده كالقرب في المرتين
مسافة قد قاسها كيّس كلمحة الطرف لذي مقلتين[2]

ويقول الشاعر الجزائري مصطفى الغماري:

ورأيت في عينيك رمزاً ثائراً ينهلّ من شفة الضياء ويزهرُ
يمتدّ قرآن الخلود جبينه وجراحه بدمى التآمر تسخرُ
يمتد في نار الحضور حضوره إن ضج كسرى أو تململ قيصر
أبداً يريدُ القرب، شلّ عبيره تحجيم ثورته التي لا تقهرُ[3]

---

١. إلى الإمام الخميني، منشورات للمستضعفين.

٢. عودة البطل، صحيفة القبس الكويتية، العدد ٥٤٧٣، سنة ١٩٧٩.

٣. ديوان خضراء تشرق من طهران.

ويقول الشاعر العراقي جواد جميل:

يا ثاقب النظرات المستفيض بها حباً إذا ما غفا من غيره النظر
في حاجبيك من الإصرار ملحمة من التواضع إلاّ أنه كبر
تمدّ كفا إلى التاريخ تنبئه بأن جرحك رغم السيف منتصر[1]

ويقول الشاعر اليمني محمود مفلح:

هم يمدحونك كل شيء إنما يتجاهلون بسيفك الإسلاما
لو شعّ نور الحق في حدقاتهم عرفوا العقيدة منهجاً وحساما[2]

ويقول الشاعر السوري صالح عظيمة:

اهدى الحسين إليك السيف وابتسما فسر وحقك لن ترتد منهزما
عليك منه صفات ليس يعرفها إلاّ الوفيان من ضحى ومن عزما[3]

---

١. أعيذ عينيك أن تغفو على عتبي.

٢. مجلة الإرشاد، العدد ١ محرم ١٤٠٠، جريدة الجهاد ١٩٨٣.

٣. مجلة صوت الأمة، العدد ٢ جمادى الثانية ١٤٠٠.

ويقول الشاعر اللبناني أحمد مغنية:

ماذا تريد من القلوب وتطلب؟ وهواه أنت تجود فيه وتخصب
إني قرأت على جبينك آية تحصي خلالك للكرام وتنسب
فرد يقوم بما تقوم جحافل أو فوق ما يرجى وما يترقب

وهذه قطرات من بحور الشعر العربي الذي تغنّى بالخميني إنساناً وثورةً وملهماً للأحرار[1].

وعندما نحاول أن نكتشف الإمام لدى اصدقائه والذين رافقوه في جهاده الطويل والمرير سنجد أحدهم يقول:

«خمسون عاماً لم يترك الإمام صلاة الليل»[2].

وصلاة الليل صلاة تقام في الهزيع الأخير من الليل.. الصلاة أوجبها الله سبحانه على سيدنا محمد ﷺ لتعزيز

---

١. يمكن مراجعة كتاب: الخميني والثورة في الشعر العربي، جعفر حسين نزار الذي انتخبنا منه.

٢. أنصاري كرماني.

قدرته الرسالية.

ويضيف أنصاري كرماني: «يقرأ القرآن بصوته الملائكي الشجي مرّات عديدة في اليوم» و «لقد سمعت صوت الإمام الملائكي مرات عديدة وهو يقرأ دعاء كميل».

«وخلال ١٥ سنة قضاها في مدينة النجف الاشرف، واظب الإمام على قراءة الزيارة الجامعة الكبيرة ليلياً وهي تستغرق ساعة كاملة يقضيها إلى جوار مرقد الإمام علي بن أبي طالب».

وعندما أعلن بني صدر: إن الأطباء الألمان وغيرهم صرّحوا بأن الإمام يعاني تدهوراً في صحته ولا قدرة لقلبه على العمل الكثير، فإنه (الإمام) يتمشى يومياً ساعتين أو ثلاث ويستغرق في تسبيح الله أو قراءة زيارة عاشوراء، وعلاقة الإمام بأهل البيت لا يمكن وصفها لأنه كان عاشقاً لأهل البيت فما أن يسمع «يا حسين» حتى تنساب دموعه بالرغم من معرفتنا بصبره وقدرته الفائقة على تحمل المصائب.

«وفيما كانت مشكلة احتلال السفارة تأخذ أبعاداً خطيرة في داخل إيران بسبب الرهبة من ردّ الفعل الأمريكي قال الإمام والطمأنينة تشع من عينيه: «ان أمريكا لا تستطيع أن ترتكب أية حماقة».

هذه الطمأنينة التي طبعت الإمام فيما كانت المتفجرّات و T.N.T تدّمر مؤسسات حساسة برمتها ويتساقط أصدقاؤه شهداء الواحد بعد الآخر ..

هذه الطمأنينة التي رافقته ولم تفارقه فيما كانت الطائرات المغيرة تحاول قصف منزله والصواريخ البعيدة المدى تتساقط في العاصمة طهران.

وكان الأطباء يندهشون لانتظام دقات قلبه في أشدّ المنعطفات خطورة: «لأن الذين ارتبطوا بالله لو أخذ منهم الوجود لما فتئوا يقولون: الخير فيما وقع»[1].

---

١. أنصاري كرماني.

اما قصّة البحث عن بيت للإمام فتلك قصة طويلة لم تنته إلاّ عندما عُثر على بيت مبني بالآجر والطين في حي شعبي شمال العاصمة.

وهذا آية الله صدّوقي من شهداء المحراب رافق الإمام أكثر من عشرين سنة يقول:

«كان الإمام يدرّس «الأخلاق» يومي الخميس والجمعة في المدرسة الفيضية فكنا نجد في حديثه أخلاق الأنبياء والأولياء».

ثم يورد كرامة للإمام شاهدها هو مع كثيرين ممن كانوا برفقته لدى عودته من مشهد في وقت كانت إيران ترزح تحت نير الأجانب من روس وانجليز .. وقد أوقف الروس السيارة للتفتيش «فنزلنا منها ولأن الإمام كان مداوماً على صلاة الليل منذ شبابه فقد أراد أداء صلاة الليل ولم يكن هناك ماء وسط تلك الصحراء .. فجأة لاحظنا ماءً يجري فشمّر الإمام عن ساعديه وتوضأ. ولا ندري إن كان بقي

الماء جارياً أم انقطع».

وتبقى كرامته الكبرى هي الثورة الإسلامية التي ما تزال مركز اشعاع إنساني ومصدر الهام للأحرار في العالم.

ويقول آية الله ناصري:

«خلال محاضراته لم يغفل الإمام لحظة واحدة عن الأحداث السياسية وما يجري في إيران، كان يؤكد عليّ وباستمرار بضرورة إيصال الأخبار إليه ومراقبة الأحداث بدقة».

وشاهدته مرّات عديدة وهو يستيقظ في منتصف الليل ويكتب بياناً أو منشوراً فيصور ويطبع سرّاً ثم تنقله إلى الخارج ويفرح الإمام بوصوله إلى الخارج».

«وخلال السنتين اللتين قضيتهما في السجن لم أكن أتوقع من الإمام أن يفعل شيئاً من أجل إطلاق سراحي .. لأنه قال لنا وأمام جمع من الطلبة: إذا كان عملكم من أجلي وإذا سجنتم من أجلي، فأنا لا أملك لكم أجراً ولا تفعلوا ذلك ..

وإذا كان عملكم لله فهذا هو تكليفكم الشرعي فلا تتوقعوا مني أن أعمل لكم شيئاً».

«من المعروف أن درجة الحرارة في مدينة النجف الاشراف شديدة وتجتاز في بعض الاحيان الـ ٥٠ مْ .. ذهبت يوماً إلى الإمام وبصحبة عدد من الإخوة .. قلنا له: الحر شديد، وأنت لا تتحمله لكبر سنّك .. الناس يذهبون ليلاً إلى الكوفة .. والجو هناك ألطف أجابنا: كيف تريدني أذهب إلى الكوفة من أجل الجوّ اللطيف في الوقت الذي يقبع فيه أخوتي في سجون إيران؟»

«عندما يجلس ليشاهد ما يعرض على شاشة التلفاز من صور مؤلمة للفقر والحرمان .. كان يبكي».

وفي وقت يصرّح فيه ثائر فلسطيني: «لقد سقطت فلسطين من الذاكرة العربية» كان الإمام يعبّئ الرأي العام الإيراني ضد إسرائيل، وكأنه ينظر إلى المديات البعيدة، ويرى أن الحلّ القومي سوف يخفق في النهاية في حل مشكلة

فلسطين، وإن شرف القدس يأبى أن تتحرّر إلاّ على أيدي المؤمنين، كما عبر عن ذلك الإمام موسى الصدر «فرّج الله عنه».

ومنذ وقت مبكر والإمام يعلن أن إسرائيل كيان غير شرعي، وأنه يجب محو إسرائيل من الوجود.

وفي هجوم السافاك على المدرسة الفيضية وارتكاب مذبحة بحق الشعب قال الإمام وسط الجراح النازفة: «لقد حفر ابن رضا خان قبره بيده» ولم يمرّ سوى عقد ونصف من الزمن ويحفر الجلاّد قبره إلى الأبد مع سقوطه.

أما الشيخ توسلي الذي رافق الإمام وهو ما يزال صبياً لم يبلغ الحلم فيتحدث عنه قائلاً:

تعرفت على الإمام ولم أبلغ الحلم بعد، وما تزال كلماته محفورة في قلبي في أيام الصيف، وخلال عطلة الحوزة العلمية في قم، يذهب إلى مدينة «محلاّت» القريبة من «قم» وهناك يمضي العطلة، وذات عام صادفت العطلة

شهر رمضان المبارك، فكان الإمام يلقي دروساً في الأخلاق في المسجد الجامع للمدينة قبيل غروب الشمس وكنت أحرص على حضورها لحبي الشديد لها.

جاء الإمام يوماً كعادته يلقي درسه، ففوجئ بوجود قطعة فراش وضعت خصيصاً له، فرفعها على الفور وجلس على السجادة المفروشة في المسجد كالآخرين.

وسئل نجله السيد أحمد الخميني عن موقف والده إزاء مشكلة الثقافة والثقافة الغربية فقال:

- الإمام حساس جداً إزاء الشرق والغرب وهو يكرر دائماً: «إنّ حسناتهم سيئات» وكان يقول: «لنعلم أنه لا شيء يعوزنا .. وعلينا أن نعتمد على أنفسنا ونقف على أرجلنا إلى أن نعتمد على قدراتنا .. وشيئاً فشيئاً يمكن أن نحوّل ضعفنا إلى قوّة، وحينها لا نكون بحاجة إلى شخص أو دولة أخرى إن شاء الله».

أما موقفه من «بني صدر» فقد عبّرت عنه كلماته الموجزة

عندما قال: «لقد انتهى بني صدر ولا أمل فيه» وكان ذلك بعد الفتنة التي اندلعت في جامعة طهران وسالت فيها الدماء .. ومع ذلك فإنه لم يتخذ موقفاً انفعالياً وظل يتعامل مع بني صدر بحكمة إلى أن هُزم الأخير. أما كيف هُزم فإن الإمام قد ألزمه بعهد أخلاقي ألزم جميع الخصوم وهو التوقف عن المهاترات .. والتزم خصوم بني صدر أمّا هو فقد نقض العهد وكان الإمام يتوقع ذلك لأنه قال لي: «أردت أن يتعرف الناس وبشكل علني من هو الذي سينقض العهد».

ويقول الشيخ عبد العلي القرهي وهو يتحدث عن ذكرياته مع الإمام في النجف الاشرف في مطلع السبعينات: «عندما أخذت الحكومة العراقية تشدد من ضغطها على الناس، وبدأت حملة تسفير الإيرانيين، بلغ الضغط درجة دخلت الرعب في قلوب الجميع حتى المراجع الذين كانوا هناك، بالإضافة إلى عدد كبير من العلماء إن لم أقل كلّهم .. إلاّ الامام.

لقد كان في وقتها صدام الخبيث هذا نائباً لرئيس الجمهورية أحمد حسن البكر.

وفي ذلك الجوّ المرعب ألقى الإمام ذات ليلة خطاباً في منزله وبالرغم من وجود جهاز لتسجيل خطابه قال الإمام بكل شجاعة: «إن هذه الحكومة لا يمكن تسميتها حكومة».

وعندما أطلق سراحه بعد اعتقاله أثر حوادث الفيضية قال: «والله لم أعرف الخوف طوال عمري حتى في تلك الليلة التي أخذوني فيها فقد كانوا هم خائفين».

هذه مجرّد ملاحظات تسجيلية رافقتها ولا شك مشاعر ممتزجة بالدهشة مما يفعله الإمام .. ولكن أيّاً من هؤلاء لم يسبر تلك الروح الكبيرة والنفس العميقة الغور وذلك المكنون المخزون مما تموج به شخصية الإمام التي ظهرت لنا أخاذة ومتألقة ..

والآن لنجرب محاولة تسجيلية وانطباعات أخرى أكثر

عمقاً .. وباختصار ما سجّله الكاتب الامريكي «روبن وودزورث كارلسف» لدى زيارته طهران ١٩٨٠م.

ولم يكن هذا الرجل بخبرته الواسعة وثقافته وأسفاره العديدة عادياً .. فهو فيما يبدو قد جاء في مهمة لاكتشاف قوّة الثورة من خلال شخصية قائد الثورة، وبما يمتلكه بطبيعة الحال من أدوات الحضارة الغربية في الرؤية والتحليل .. ولذا فان إفاداته ستكون هامّة جدّاً ..

فهو يصرّح بشكل واضح قائلاً: «فقد تحين لي الفرصة أخيراً فأقيّم قدر هذا الرجل بنفسي .. ستفحصه بدقة حساسيتي الروحية الناقدة»[1].

ثم يؤكد نظراته المسبّقة: «لا يمكنني في النهاية أن أقبل الفكرة القائلة: إن للخميني كياناً متحرراً روحياً».

«فبالرغم من إن معظم القديسين وأولياء الله المشهورين

١. الطريق إلى جمران، ترجمة: محسن أحمد عبدالحق، ص١٤.

ظهروا عادة من جهاز عبادي رفيع التركيب ومنظم وتمتد جذوره إلى الماضي البعيد. بالإضافة إلى ممارستهم الطهارة والنقاوة .. فهم حين يصلون إلى قمة تقواهم وورعهم ينفصلون عن السياسية فلا يعد لهم صلة وثيقة بمظاهر الحياة السطحية ..

وهو يعترف صراحة بأن الإمام الخميني في نظر الغرب رمز لأعنف وأعند كبرياء».

والكاتب وبطبيعة حصيلته وتصوراته عن القدّيسين وحتى الصوفيين هي أنهم قد حققوا قدراً من الوحدة بوعي محض .. فكانت حقيقة الحب المشرقة، فهناك في رأيه قدر من الدهشة في شخصية الإمام الخميني، التي يجب أن تتجه إلى السماء أكثر من الأرض بكل ما تعنيه الأرض من سياسة وأحداث وهموم.

والآن لنتابع انطباعاته وهو يدخل القاعة حيث احتشدت الجماهير المتلهفة لرؤية الامام: «وساد الوقار وخيمت

المهابة على سلوك جميع المترقبين لمقدم الإمام .. حين ألقيت بصري على المنصّة .. على المكان الذي ألقى منه الخميني مئات الخطب والأحاديث .. شاهدت عيناي المكان في هدوء حقاً .. تشيع فيه الطهارة والصفاء والنقاوة .. بل تجمعت كلّها في كتلة من الطاقة .. أيكون الإمام انساناً مؤيداً روحياً؟

انكشفت له الحجب؟ أهو صوفي حقيقي؟ ربما كان أكثر من ذلك..».

«وحين ظهر الخميني لدى مدخل المنصة قفز الجميع ناهضين مهللين: خميني! خميني! خميني! في صوت واحد ينبض بفرح...».

«كان فيضاً طبيعياً من التسبيح والحمد والابتهال اطلقته شخصية هذا الرجل الغامرة وفخامتها التي لا تقاوم..».

«أحسست بإعصار من الطاقة يتدفق خلال الباب..».

«شعرت وكأننا تضاءلنا جميعاً في حضرته .. وكأن لم يبق

في القاعة شيء سواه .. لقد كان كتلة من النور دافقة نفذت إلى بصيرة كل حاضر ومشاعره» ثم يعترف الكاتب الامريكي بصراحة:

«لقد دمّر كل المعايير التي ظننت أنها ستعينني على تقييمه وتحديد قدره..».

«لقد توقعت .. مهما كان مظهر هذا الرجل. أن أفحص قسمات وجهه بدقة .. وحوافزه .. بحثاً عن حقيقته .. غير أن قدرة الخميني ووقاره وسيطرته المطلقة .. دمّرت جميع أساليب التقييم التي اتبعها».

«لقد كان اعصاراً .. ولكن ما إن استقر بصرك لأدركت لتوّك أن هناك مركز سكون مطلق داخل هذا الاعصار .. فبينما هو جاد .. حازم، مسيطر .. تجده أيضاً هادئاً ومنصتاً .. لقد كان بداخله شيء راسخ وثابت .. ذلك الشيء الثابت .. هو ذاك الشيء ذاته الذي حرّك دولة إيران برمّتها .. أهذا انسان عادي؟».

«لقد كان الخميني مركز هذا الانفجار الإسلامي .. ولقد كان أيضاً منبع الطاقة الروحية التي تغلغلت في قلوب المسلمين بالشرق الأوسط».

«لم يبتسم مرّة .. لقد ثبتت قسمات وجهه في إصرار تمليه إرادته .. وكأن الله حمّله أمانة كل شيء .. لقد بذل حياته في خدمة الله .. فلم يكن هناك شيء يضحك».

«لقد عقد العزم .. وقام على الطريق .. يعالج العقبات المترقبة .. ليعيد للإسلام عزّه الذي بشّرت به نشأته السماوية .. لقد عاش للإسلام وأصبح الداعي الفعال لإحياء الإسلام فليس له من غاية سوى تطبيق الإسلام .. لقد اندمجت ذاتيته في كل ما يحمل هدفه الأعلى من معان».

«ما استشففت فيه ولو لمسة طفيفة من اختلال .. وما لمحت أي اهتزازة .. وما نالت منه خلجة واحدة لما تعجّ به البيئة حوله .. لا .. ما أحسست غير هالة الواجب

الحتمي الذي وضعه تماماً في خدمة الخلق».

«ومن المسلّم به أن العلوم جميعها بما فيها علم النفس .. لتعجز كلّها عن اثبات الحقائق الكامنة في ملاحظاتي وتلك المشاهدات تخرج عن قدرة الآلات والأجهزة لقياسها وتقنين مداها، أو لتشخيص الحقائق التي تكمن وراء هذه التجربة التي عشتها ماذا أقول؟

ربما تصدر عن قلب الخميني استنتاجات شاسعة مترابطة .. ليست كتلك التي تصدر عنا والتي لا زالت تتخبط في قبضة التضارب والتردد اللذين اعتادتهما فباتت تفتقد الأمان».

«لقد أشاع فينا إحساساً بأنه لم ينتصر على نفسه فصار سيداً لها فحسب .. بل أنه أصبح الآن أعلى من ذلك بكثير .. لقد صار الآن خادماً لسيد آخر .. ولنا أن نفترض في هذا المجال أحد أمرين: أما أنه نذر نفسه وكرّسها لجوءً إلى الله .. أو أنه ارتقى فعلاً إلى مرتبة قداسة دائمة .. ذلك

الموضوع الذي دارت عنه مناقشات وجدل بيني وبين كل من إبراهيم يزدي والأستاذ اللبناني».

«إن أقل ما يمكنني قوله .. إنني رأيته وكأنه أحد أنبياء العهد القديم .. أو أنه موسى الإسلام .. حضر ليدفع فرعون الكافر عن أرضه».

«ولا يعني ذلك أن الخميني يقارن نفسه بالمسيح مطلقاً .. ولكنه يتألق بنفس النزاهة التي لا مساومة فيها، والتي لا تقبل أنصاف الحلول .. وله قصد لا يحيد عنه قيد أنملة».

«وعجيب أن يحمل انسان بين جنبيه الكثير من أسرار الكون ذاته».

«إن الخميني حقيقة .. وقد أدّى وجوده البارز شخصياً كان أو متجرداً إلى تقلص انطباعي عما عداه من القادة السياسيين الذين قابلتهم في حياتي».

«فهو لم يستمد الكثير من كيانه هنا من كلماته .. ولا من سلطته .. ولكن من واقع وجوده ومن كيفية ردّ فعل الكون

لهالة شخصيته المنظمة».

«لقد أقتحم الإمام الخميني عليَّ قلبي وعقلي بتيار من العاطفة التي يمكنني أن أصفها بيقين بأنها إيجابية قصوى .. وهذا ما أفضل أن أطلق عليه لفظ، «الحب»».

«فقد كان مشحوناً بحب بدا لي فعلاً أنه أصاب من القلب فطهّره .. وملأه بنعيم ما تذوّقت له من قبل حلاوة».

«لقد شاءت الأقدار أن يكون الإمام الخميني هو تلك الحقيقة الوحيدة التي أخذت بآفاق أفكاري إلى مدارك أوسع، مشاعر أكثر رحابة فكان الحقيقة التي طهرت قلبي وأنارت لي عقلي وتركت في أثره احساساً من الرضا لا تخبو شدّته .. وسيظل هذا الرضا ملازماً لي حيث أكون».

«إن الإمام روح الله الموسوي الخميني رغم ذلك دليل فائق وبيّنة سامية لقدرة الإنسان على إحراز الكرامة التامّة والكمال».

«ولما كان الخميني حقاً من عباد الرحمن يحمل بين

جنبيه حقيقة الإسلام .. واستحق أن ينال حبّاً يضاهي حب الشيعة للاستشهاد .. لزم علينا كمشاهدين أن نحاول فهم هذه الثورة .. وأن نقف على مدى حكمة الله في إيصال هذه الحقيقة إلينا .. والحقيقة التي وصفتها هنا هي الحقيقة ذاتها التي يتمركز عليها تماماً مستقبل الشرق الأوسط .. وإنني أعتقد أنه لن يدرك إنسان تبلور مصير الشرق الأوسط، واتجاهات القوى التي تشكل الآن أحداثه حتى يعترف بصدق ما كتبت، وحتى يميز هذه الحقيقة».

«إن تصرّفات مثل هذا الإنسان تسيطر عليها قوّة علم خارقة ربّما تقوم بحساب أنشطة العالم الأكبر .. فلم تعد ذات هذا الإنسان المعتادة تحدد تصرّفاته أو تتحكم فيها .. لقد صارت ذاته كونية .. ومن ثمّ فإن مكانة هذا الإنسان وقدرته العقلية، ومستوى انفعالاته تعكس بالضرورة الحقيقة الكونية التي تتضمنها أحاسيسه ومداركه .. أتراني أصف الإمام الخميني؟».

«وما كان تقدم آية الله الخميني نحو إدراكه لطبيعته غير

المحدودة .. وطفرته إلى الأحاسيس النقية الطاهرة ولجوؤه إلى الله المطلق .. ما كان ذلك سعادة دون جهد .. وما تحققت بأسلوب تسام طبيعي بسيط؛ لا .. ما تحققت إلاّ بعزيمة هائلة لا تقهر .. وتفان ملتزم لا ينحرف عن شريعة الإسلام وقوانينه..

وما من مشاهد للإمام الخميني الاّ وأحس وكأن الخميني عاش منذ مولده حياةً محدّدة الاتجاه تستهدف أسمى غرض من خلال أعظم التقاليد العالمية».

«فهو منذ البداية كمشاهير الهند من القديسين مثلاً .. دأب على المعرفة .. زاهداً في متعة الشباب المعطلة .. وركّز انتباهه على غاية الحياة كلّها .. والتعرف الكامل على ماهية النفس .. وما فتئت أن بقيت ذاته غير مطلقة بسبب طبيعتها القائمة على الشروط والاحتمالات .. ولكن ذاتيته الآن .. لجأت إلى المطلق .. فما عاد لها من قصد سوى العمل في خدمة ذلك المطلق .. وأقرّ أني ما رأيت من قبل تعبيراً للمطلق أكثر صلابة مما شهدت».

«ويبدو أنّ الخميني على معرفة بمفهوم الله على أنه المطلق .. واستشهدُ مؤكداً ببعض العبارات من أربع محاضرات منفصلة:

«وأسماء الله هي .. أعلام لذاته سبحانه، وما هي إلاّ أسماؤه التي يعرفها الإنسان. أما ذاته سبحانه فلا يدركها إنسان .. وحتى خاتم الأنبياء .. أكثر الناس علماً وأعظمهم نبلاً لم يحط علماً بذات الله .. إن الله لم يطلع العقول على تحديد صفته وذاته، ولكنه سبحانه لم يحرمها طريق معرفته ..

فإن كان النور أو الوجود مطلقاً وليس كمثله شيء فهو يتضمن بالضرورة الكمال كلّه .. ذلك لأنه إذا فقد نقطة واحدة من كماله .. أمكن تحديده وتمييزه .. فإذا كان في الذات الإلهية على سبيل الجدل نقطة نقص واحدة لكان معنى ذلك تغيب نقطة من الوجود .. ولما عاد الوجود بعد ذلك مطلقاً .. فيصبح بذلك غير كامل .. بل يصبح عرضاً .. ولا يعد ضرورياً .. إذ إن الوجود الضروري لابد أن يكون مطلقاً في كماله وجماله .. وعلى ذلك فنحن نستعرض الأمر

حتى من خلال طريقة «البرهان المنطقي» غير الكاملة، فإننا نصل إلى أن الله تعالى هو «ذات الوجود المطلق» التي هي منبع الايحاء كلّه .. وتتضمن هذه الذات الإلهية الأسماء كلّها .. والصفات كلّها .. وهي الكمال المطلق .. الكمال الذي لا يمكن تحديده .. ذلك الهدف الذي من أجله جاء الأنبياء جميعهم، ليسودوا الإنسان قدماً في هذا العالم، فيخرجوه من الظلمات إلى رحاب النور المطلق .. لقد أراد الأنبياء أن يغمروا الإنسان في هذا النور المطلق .. فتندمج الفطرة بأحضان المحيط .. لقد أُرسل النبيّون جميعهم من أجل هذه الغاية ..

إن المعرفة الحقيقية .. والحقيقة الموضوعية كلها تنتمي لذلك النور .. فلا وجود لنا جميعاً .. ويعود أصلنا إلى ذلك النور المطلق .. محرّرين من غياهب الظلام وحجب النور .. وحتى البعض وهم لا يزالون في عالمنا هذا سينجحون في الوصول إلى مرحلة تتجاوز مدارك خيالنا عن اللاوجودية

وعن مواراتنا في ذات الله عز وجل».[1]

«وأنا أعرف أن الخميني يجابه كل قوى الشرّ في العالم .. وأن شيئاً من خلال الإسلام يحدث بما قد يغيّر للأمة الاتجاه الذي اتبعه الغرب ولا يزال .. فالإمام الخميني هو نقطة التضاد للدنيويات الجشعة .. وهو نقطة التضاد للتساهل والتسامح في الانقياد وراء الملذّات واستحواذ الأنانية على الفرد .. وكل هذه سمات سيطرت على الغرب».

«لقد تألق الإمام الخميني بالرحمة والحيوية .. بل وبالنعيم .. من تركيز قوي غمرني بطاقة مطهرة .. وشعور كان لهما أعمق إحساس للشكر ..

وخلال الثلاثين دقيقة التي قضاها الإمام على المنصة، أحسست بخلايا عقلي وقلبي تفيض كلها بحب شاف».

«وأن الله يدلّنا على كل ما نريد، ويبيّن لنا عن وجوده

---

١. النص مترجم عن الفارسية أو العربية لغة الإمام إلى الإنجليزية ومنها إلى العربية.

وقصده الكامل من خلال مخلوق منّا».

«حتى حياتي كلّها .. أحسست بمعناها يتضح .. واستيقظت معرفتي بمصيري».

«وبدا لي الخميني وكأنه القرآن .. وكأني بالله يرتل في استمرار وتلقائية ما في قلبه من كتاب وآيات بينات».

«ربما كانت المرّة الأولى منذ عهد رسول الله محمد نفسه أن يُحدث حكيم أو صوفي تغييراً سياسياً عنيفاً أدى إلى ثورة».

«إن آية الله الخميني قاد ثورة مسّت حياة كل فرد .. ثورة راحت تصفع سياسة الواقع في العالم .. وتصفع الأمم المتحدة، وتصفع مركز المخابرات الامريكية وتصفع مناورات موسكو».

«الله وحده قادر على تبرئة هذه الثورة والدفاع عنها».

«وستبقى إيران معقلاً لمذهب الإسلام الشيعي .. وستبقى

الأمة كلّها مؤيدة للقيم والمبادئ المستمدّة من نظام دين عتيد .. متحدّية بذلك استكبار أيديولوجية الإنسان الغربية ومناظرات الجدل المادّية».

«لقد أدّى العلم والتقدم إلى عدم التجاء الشعوب إلى الله فيما يختصّ بأحداث العالم .. ولعل الله شاء أن يذكّرهم بذاته ووجوده .. فكانت هذه الانتفاضة الدينية المفاجئة والتي انبعثت عن شخص ومشاعر آية الله الخميني .. انتفاضة لا يمكن فهمها إلاّ من مركز العاصفة الإسلامية وبهدوء كامل .. أما أحاسيس الخميني التي عبرت بوضوح وجلاء عن المطلق .. فقد انسابت في جهازه العصبي دون عقبة أو مقاومة».

لقد كان من خلال الإسلام وبالإسلام وحده أن الله أحيا قوّة إحدى رسالاته .. يقوّض الافتراضات الدنيوية النامية في الغرب والشرق الداعية إلى إقصاء مفهوم قدرة الله عن مسرح الأحداث في العالم..».

«إن هـذه الثـورة تحـت القيـادة الرشـيدة لآيـة الله روح الله الخمينـي أنقـى نهضـة للـروح فـي عالمنـا اليـوم».

«وقـد قامـت الثـورة الإسـلامية نتيجـة لتفـوق وسـمو الإمـام الخمينـي».

«فليـس هنـاك قائـد معـروف آخـر لديانـة أخـرى مشـهورة حتـى البابـا .. ليـس هنـاك مـن يدانـي الإمـام الخمينـي فـي شـدّة القداسـة التـي يتألـق بهـا».

«مـا مـن تجربـة تسـاوي شـيئاً ممـا حـدث لـي اليـوم .. فـإن تفتـح قلبـك بحـق لتسـتقبل بـركات آيـة الله الخمينـي، فـإن ذلـك يعنـي أنـك رأيـت انعـكاس الله ذاتـه، إذ هـو يتمثـل فقـط مـن خـلال الجهـاز العصبـي للإنسـان .. لقـد حصلـت علـى هـذه البركـة .. إن الله ذاتـه يعلّمنـي مـا لـم أكـن أعلـم .. مـن خـلال شـيء مطلـق ينسـاب دون انقطـاع فـي أحاسـيس وشـخصية الإمـام الخمينـي».

«وخـرج الخمينـي مـن بـاب منزلـه .. ومـرّة أخـرى هبّـت ريـاح

الطاقة الإلهية واندلعت قوّة الحب والمهابة التي سمت إلى مستوى الكونية».

لقد استرسلت في نقل هذه الكلمات المعبّرة لإنسان من المفترض أن يكون معادياً للإمام الخميني بسبب قوميته كأمريكي وديانته كمسيحي، وبسبب الأزمة السياسية العاصفة في عملية احتجاز أعضاء السفارة الأمريكية .. ومع كل ذلك نجد الكاتب الامريكي يتأثر بشدّة بشخصية الإمام الإلهية حتى أنني لم استطع مقاومة الكشوفات المذهلة للكاتب وسحر كلماته المعبّرة ..

ربّما يوجد من تأثر بالإمام لهذه الدرجة وأكثر لكنه أخفق في التعبير كإنسان تموج في أعماقه مشاعر فياضة بالحب أمام عجز في التعبير عنها ..

إن هذه المقدمة التي تبدو وكأنها تفتقد المنهج إنما تجسّد عجز في إيصال فكرة أنّ الإمام الراحل، قد اكتسب قدرة الأنبياء في التغيير، وأن هناك قدراً من خليل الله

إبراهيم ومن كليم الله موسى بن عمران ومن روح الله المسيح بن مريم ومن حبيب الله محمد بن عبدالله ..

أجل كل ذلك تجدد متألقاً في روح الله الموسوي الخميني .. مع التأكيد فيما يشغله الإمام الحسين من مساحة كبرى في شخصيته.

أجل هذه مقدمة مرتبكة وأني لأعترف بإخفاقي في التعبير عن الإمام الراحل .. بالرغم من أن اكتشافي له يعود إلى عام ١٩٧٧م عندما وقع في يدي كتاب: «موقف الخميني تجاه اسرائيل» .. وقد الهب وجداني موقفه الحازم .. وتأييده المطلق للحق الإسلامي الفلسطيني في وقت صرّح فيه زعيم فلسطيني: «لقد سقطت فلسطين من الذاكرة العربية».

ترى من الذي أعاد فلسطين ليس إلى الذاكرة العربية والأمة الإسلامية بل إلى ذاكرة العالم كلّه كقضية إنسانية؟!

أليس هو الخميني؟

وعندما نقترب منه لنكتشف روحه سنجد في طواياها الحسين بملحمة عاشوراء الخالدة .. وسنكتشف أن الحسين يشغل مساحة هائلة في روحه الخضراء.

إننا نستطيع أن نسرج فانوسين يلقيان بعض الضوء على هذه المساحة الشاسعة ..

الأول يقترن بلقائه مع المرجع الكبير المرحوم السيد الحكيم أيام وصوله إلى النجف في منفاه الثاني بعد تركيا ونحن نقتطف منه ما يتعلق بصلب المسألة.

الامام الخميني: «... وفي منفاي بتركيا زرت قرية لا أذكر اسمها الآن؛ واخبرني الأهالي هناك أنه عندما كان آتاتورك منهمكا في الحملة على الدين، اجتمع العلماء واتخذوا قرار المواجهة ضد أتاتورك الذي قام بحصار القرية وقتل أربعين من علماء تركيا، ولقد شعرت بالخجل، وفكرت في نفسي إذ كيف يقوم علماء السنة وهم يرون الخطر محدقاً بدينهم ويقدّمون دماءهم رخيصة بينما يشهد

علماء الشيعة أخطاراً عظيمة تهدد الدين فلا نصاب حتى بالرعاف! أمر مخجل حقاً..

السيد الحكيم: ماذا ينبغي فعله؟ لنحتمل الأثر أولاً، وإلاّ ما جدوى القتل؟

الامام الخميني: .. لندع التاريخ يسجّل أن الدين لما تعرّض للخطر فان بعضاً من علماء الشيعة ثاروا وأن فريقاً منهم قتلوا.

السيد الحكيم: ما جدوى التاريخ؟ نحن نبحث عن الأثر.

الامام الخميني: كيف لا يكون للتاريخ فائدة؟! ألم تقدم ثورة الحسين خدمة للتاريخ؟ ألم يكن هناك جدوى من ثورته؟!

السيد الحكيم: ما هو رأيك في موقف الحسن؟ إنه لم يقم بثورة؟

الامام الخميني: لو كان للإمام الحسن أنصار مثلما لديك، لثار. ولقد نهض بالأمر في البداية، ولما رأى أنصاره يبيعون

أنفسهم وضمائرهم لم ينتصر .. أما أنت فلك أنصار في كل البلاد الإسلامية.

السيد الحكيم: ولكني لا أرى من يتبعني لو أقدمت.

الامام الخميني: إذا قمت بالثورة فأنا أول من يتبعك.

السيد الحكيم: ابتسامة وصمت»!![1].

وخلال اللقاء نشهد الاستخدام الواسع لمفردة الثورة في حديث الإمام بينما لم يستخدم محاوره هذه المفردة حتى مرّة واحدة!

وهذا اللقاء هو معروف في بداية وصول الإمام إلى النجف بعد قدومه من تركيا أما الإضاءة الثانية فتتعلق بلقاء الإمام الشهيد محمد باقر الصدر للإمام الراحل قبيل غليان الثورة في ايران وربّما في أواخر عام ١٩٧٧م وهو عام حاسم

١. كوثر، ج١، ص١٩٩ كتاب توثيقي باللغة الفارسية حول مواقف الإمام الخميني.

أيضاً في تاريخ العراق لأنه شهد انتفاضة شعبية كبرى في صفر وحاصرت الدبابات والدروع مدينتي النجف وكربلاء واعتقل الإمام الصدر حينها.

والإمام الصدر كان يحمل مشروع ثوري كامل آمن به في فترة مبكّرة جداً وكان يزداد إيماناً كلّما ازداد حكم البعث العراقي ضراوة ووحشية[1].

وفكرة المشروع الصدري للتغيير أن يقوم بإلقاء خطاب يهاجم فيه زمرة البعث والعصابة الاجرامية المتسلّطة ويجرّها إلى مواجهة دامية في مرقد الإمام علي حيث يخطب، وعندما يسقط مضمّخاً بالدماء عندها يتحطم طوق الخوف الذي يكبّل الشعب العراقي.

وواضح أن الفكرة هي استلهام عصري لخطوة الإمام الحسين في ملحمة عاشوراء الخالدة:

---

١. يمكن مراجعة كتاب «الحسين يولد من جديد». كمال السيد.

«يمم الصدر وجهه صوب الخميني الرجل الوحيد الذي يفهم لغة الصدر ..

أصغى الإمام لحديث عجيب وهزّته الكلمات الثائرة تنساب مع الجراح ..

يا لهول المشهد .. الصدر يخطب في أمّة من الناس .. يقاوم ويهاجم، ثم يسقط شهيداً .. تتدفق دماؤه طاهرةً تلوّن الأرض بلون الشفق ..

سكت الصدر، وظل الخميني مطرقاً برأسه .. ترى ماذا سيقول؟ وبعد لحظات صمت مدوية تمتم الإمام:

- لا أدري!!

إنّ المرء لن يتوقع جواباً أبلغ من هذا .. فيه حزن الأنبياء .. إنه يدري، ويقول: لا أدري.

ونهض الصدر ينوء بثقل الرسالة..»[1].

---

١. الحسين يولد من جديد، كمال السيد، ص٨٨.

والآن لنعد إلى موسم الحج في عام ٦٠ هـ الإمام الحسين سبط النبي ﷺ على سفوح جبل عرفات يمدّ يده باتجاه الكعبة رمز التوحيد .. هناك تتألق فأس ابراهيم الذي هشم وجوه الآلهة المزيفة .. ولو انصتنا لسمعنا كلمات الحسين:

- إلهي كيف يُستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟!

متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلُ عليك؟!

ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟!

عميتْ عين لا تراك».

وسنسمع أيضاً:

ماذا فقد من وجدك؟

وماذا وجد من فقدك؟!»[1].

---

١. دعاء الإمام الحسين عرفات، مفاتيح الجنان.

إنّ ثورة روح الله الخميني هي الزلزال الذي أعاد إلى مسار التاريخ الإنساني انتظامه إثر القلق الرهيب الذي اعتراه بعد حربين مدمّرتين، وانسلاخ الإنسان من هوّيته الإنسانية .. إنها ثورة الحب الالهي من أجل إنقاذ البشرية والذوبان في المطلق..

إنها قبس من عاشوراء.

كمال السيّد

رجب ١٤٢١ هـ

تشرين الأول ٢٠٠٠ م

إنّ ثورة روح الله الخميني هي الزلزال الذي أعاد إلى مسار التاريخ الإنساني انتظامه إثر القلق الرهيب الذي اعتراه بعد حربين مدمّرتين، وانسلاخ الإنسان من هوّيته الإنسانية .. إنها ثورة الحب الالهي من أجل إنقاذ البشرية والذوبان في المطلق ..
إنها قبس من عاشوراء.

الموقع الرسمي

كلمات